**المقياس: "فلسفة العلوم" (السنة الثالثة) (محاضرة رقم 02).**

**الموضوع: " فلسفة العلوم و تمييزها عن الأبستمولوجيا. دراسة في المفارقات".(د.دليل)**

**1ـ الأصول المعرفية لمصطلح إبستيمولوجيا ( في العلاقة بين الابسنيمولوجيا و فلسفة العلوم):**

يُشَكِّل عادّةً كلّ تأمُل في قوانين و مبادئ العِلْم و في نتائجِهِ المنطقية و قيمتِهِ الأخلاقية فلسفةً للعِلم. و انطلاقاً مِن ذلك، فإنّ السؤال: ما علاقة الأبستمولوجيا بفلسفة العلوم، سُؤالاً مشروعاً. فهل يمكن أن يَحُّلَ أحد هذين اللفظين مكان الآخر؟

تناوُل هذا التساؤُل بالدِّراسة، جعلنا نميِّزُ بين اتِّجاهين أساسِيين، أي هناك فِكرتين جوهريتين:

الفِكرة الأولى: مفادها أنّ الأبستمولوجيا ماهي إلاّ فرع من فلسفة العلوم، أو - طريقة خاصّة من طُرُق الفلسفة في العِلْم**[[1]](#footnote-1)1**. و لفهم مدلول هذا الطّرح المُؤكِّد على متانة هذه الصِّلة، نستدِّل بالتّيّار الفِرنسي من خلال التعريف الذي قدَّمه ''أندري لالاند'' للأبستمولوجيا الذّي يرى أنّها : [ تِلك الدِّراسة النقدية لمبادئ مُختلف العلوم و نتائجها، قَصْدَ تحديد أساسها المنطِقي و بيان قيمتها و درجة مَوْضُوعِيَتَها.] هنا يظهر ''لالاند'' على وِفاقٍ مع الوضعيين الجُدُد.**[[2]](#footnote-2)2** لقد فَهِم هؤلاء الأبستمولوجيا على أنّها جزء مِن فلسفة العلوم، فقد اختزلوا مُهِّمة الفلسفة الأولى و الجوهرية على '' التّحليل المنطقي'' لِلُغَة القضايا التّي يطرحها العِلْم. و قد نحى هذا الموقف فلاسفة ومناطقة و مفكرين خارج إطار الثقافة الفرنكوفونية، و هم أمريكيون أمثال: '' هاربت فيجل Feigl'' و''برودبك Brodbeck '' في مؤلّفهِما "قِراءات في فلسفة العِلم'' و كان ذلك عام 1953م، إذ ميّزوا فيه بين أربعة مهامٍ لفلسفة العِلْم:

ـــ دراسة العِلْم في علاقته بِالعَالَم و مع المُجتمع.

ـــ وَضع العِلْم في مكانِهِ ضِمن مجموعة القِّيم الإنسانية.

ــ العَمَل على تشييد فلسفة للطبيعة انطلاقاً من نتائِج العِلْم.

ــ التّحليل المنطقي للغة العِلْمِية.

إلاّ أنّ هذين الباحِثين، أكَّدا على هذه المُهِّمة الأخيرة، باعتبارِها البّحث الوحيد الذي يتلاءَم مع لفظ الأبستمولوجيا.

الفكرة الثانية: مفادها الانفصال في العلاقة بين الأبستمولوجيا و فلسفة العلوم، لأنّه و في رأي هذا الاتِّجاه ينبغي الفصل بين المهام الابستيمولوجية و المشاكِل الفلسفية. و بالتالي لا يَصِّحُ القول بأنّ كلّ الفلاسفة هم إبستمولوجيون بالضرورة. **لماذا في رأيهم؟** لأنّ لكُلّ فلسفة مفهومها الخاص عن العِلْم، ابتداءاً مِن نظرية المُثُل الأفلاطونية، إلى الفلسفة الوضعية ( منذ نشأتِها الاولى مع "أوجست كونت **August comte**" و الذّي أعطَت فلسفته للعِلْم مكانةً خاصّة و مُميّزة في نسق المعارِف، إلى فلسفة الوضعية المنطقية الجديدة والذّين زعموا بأنّ كل ما هو عِلْمي قابِل لأن يُعبَّر عنه في لغة منطقية.) **واعتمدوا في تبريرهم لموقِفِهم القائل بِعَدَم وُجود أيّ علاقة بين العِلْم و الابستيمولوجيا على:**

**ــــــ** موقف **''جون بياجيه Jean Piaget[[3]](#footnote-3)1''**: وضّح في "الأبستمولوجيا و أصنافها" هذا الرّفض، نظراً لِكون الأبستمولوجيا تهتّم ـــ مَثَلُها في ذلك مَثلُ المنطِق ــــ بتحليل المعارِف ذات الطابِع العِلْمي، تلك المعارف التي تحتوي بحكم طبيعتها على مُشكلات منطقية و نفسية ومنهجية، و لا علاقة لها اليوم بالفلسفة العامّة، كما يؤكِّد ''بياجيه'' على أنّ الابستيمولوجيا ستقطع في المُستقبل، الصِّلة تماماً بالتّفكير التأمُلي الفردي.

**2 ــ في العلاقة بين الميتودولوجيا(علم المناهج) و الابستيمولوجيا:**

إنّ العلوم لا تتميّز فقط بموضوعاتها بل كذلك بمناهِجها، فليس هناك منهجية عامّة وَوَاحِدة تقوم عليها العلوم بمُختلف ميادينها في عملية الكشف عن الحقيقة، بل هناك مناهج عِلمية.

ـــ إنّ لكُلّ علم منهج خاص به، تفرِضُهُ طبيعة موضوعه، و هذا ما يؤكِّدُه الدكتور "محمد عابد الجابري" هو أنّ ـــ **الميتودولوجيا لاحِقة للعَمل العِلْمي و ليست سابقة عليه** ــــبمعنى أنّ المُتخصِّص في عِلْم مناهج البّحث ــ فيلسوفاً كان أو عالِماً ــ لا يرسُم للباحث الطريق التي يَجِبُ أن يسلُكها، بل على العكس من ذلِك، يتعقّبُهُ و يُلاحِق خطُواتِهِ الفِكْرِية و العَمَلِية، يَصِفُها، يُحلِّلُها، و يُصنِّفها، و قد يُناقِشُها و ينتقِدُها، مِن أجل صِياغتها صِياغة نظرية منطقية تُفيد العالَم في ميدان بحثه.

هكذا، فإن كانت الأبستمولوجيا تتناول بالدراسة و النّقد مبادئ مُختلف العلوم وفروضها و نتائجها، لتحديد قيمتها و حصيلتها الموضوعية ـــ كما يقول ''أندري لالاند''، فإنّ الميتودولوجيا تقتصِّر على دراسة المناهج العِلمية دراسة وصفية تحليلية، لبيان مراحل عملية الكشف العلمي، و طبيعة العلاقة التي تقوم بين الفكر و الواقع خلال هذه العملية. و لعلّ أبرز تلك الاختلافات يُمكِن تلخيصُها في مستويين عموماً: **الأوّل** هو **مستوى التّحليل** في الميتودولوجيا إذ تتناول كل علم على حِدى، في حين أنّ الابستيمولوجيا الطامحة لأن تكون نظرية عامّة في العلوم، ترتفع إلى مستوى أعلى من التّحليل. ثُّم **مستوى** **البّحث النّقدي** الرامي إلى استخلاص الفلسفة التي ينطوي عليها ضِمنياً التفكير العِلْمي. إذ مِن جملة ما تتناوله بالطّرح النقدي المناهج العِلْمِية ذاتها، لِتبحث عن ثغراتها و تعمل على مُعالجتها. وفي هذا الصّدد يَرَى '' **جون بياجي**'' أنّ ــــ التّفكير الابستيمولوجي يولَدُ دائِماً بِسبب "أزمات" هذا العِلْم أو ذاك، أزمات تنشأ بِسَبب خطأ في المناهِج السابقة و تُعالَج باكتشاف مناهِج جديدة. ــــ هكذا يُمْكِن القول أنّ ــــ الأبستمولوجيا ميتودولوجيا من الدرجة الثانية.ــــــ

**3. في العلاقة بين تاريخ العِلم و الابستيمولوجيا:**

لنبدأ في هذا المقام كمدخل بمقولة للأستاذ ''جورج كانجيلهام G. Canguilhem[[4]](#footnote-4)1'': « فكما أنّ أيّ نظرية عِلْمِية لا ترتبط بالابستيمولوجيا تُصبِح عبارة عن تأملات في فراغ، فإنّ أيِّ محاولة في الابستيمولوجيا لا تريد أن تربط نفسها بتاريخ العلوم تصبح عبارة عن ظِّل بدون معنى للعلم الذي تزعم الحديث عنه.» و معنى ذلك أنّ الأبستمولوجيا في منظور بعض الفلاسفة ترتبط على نحو ضروري بتاريخ العلوم. **فما هي أكثر أنواع تاريخ العلوم ارتباطاً بالأبستمولوجيا؟**

إنّ النّوع الذي يهُّمُ الأبستمولوجيا هو النّوع الذي يساعد على تبيين أُسُس الفكر العِلْمي و الذّي يعتمد على المنهج التاريخي النّقدي، و يهدف إلى دراسة التّيارات الكبرى للفِكر العِلمي، مع إعطاء كل ظاهرة أو اكتشاف مكانه في هذه التّيارات. هذا النّوع من تاريخ العِلم يدخل -كما يقول "بيار بوترو" Pierre Léon Boutroux **[[5]](#footnote-5)2**- « إنّ تاريخ العلوم المدروس بشكل مُلائِم، يزيد من حظوظنا في اكتشاف أسُّس التفكير العِلْمي و اتّجاهاته [...] إنّه المُقدِّمة الطبيعية للفلسفة العِلْمِية. » . هذا ما أطلق عليه اسم: ''التاريخ الفلسفي للعِلم''، فما يَهُّمُ الأبستمولوجيا من تاريخ العلوم، هو تطور المفاهيم و طُرُق التفكير العِلْمِية، و ما ينشأ عن ذلك مِن قِيام نظريات معرفية جديدة.

**الخلاصة**: إنّ الابستيمولوجيا إذن، فلسفة للعِلْم تتلوّن بِلون المرحلة التي يتجاوزها العِلم في سياق تطّوره و تقدّمه، و من هنا طابعها العِلْمي، و بِلون الفلسفات التي تقوم خلال كلّ مرحلة، أو عقبها مُباشرة، والتي تحاول كلّ منها استغلال العِلْم لِفائِدتها.

1. **1 ـــ بلانشي، روبير، نظرية المعرفة العلمية (الابستيمولوجيا)، تر: د. حسن عبد الحميد، و د. محمود فهمي زيدان، د(ط)، 1986، مقدّمة المُترجم، ص، 16.**  [↑](#footnote-ref-1)
2. **2 ــ تيّار فلسفي، تأسّس في فييّنا عاصمة النّمسا، حيث أسَّس هناك مجوعة من الفلاسفة و المنطقيين و الفيزيائيين إلخ، ''حلقة فيينا'' كان أبرزهم : ''موريس شليك'' ، '' رودولف كارناب''، ''هانز ريشانباخ''... و عُرِفت في تطوراتِها بِعِدَّة تسمِيات: كــَ: ''التجريبية المنطقية''، ''التجريبية العِلمية''، '' الوضعية المنطقية الجديدة''....** [↑](#footnote-ref-2)
3. **1 – (1896 – 1980) , Pionnier dans le domaine de la psychologie de l’enfant.** [↑](#footnote-ref-3)
4. **1** - أستاذ تاريخ و فلسفة العلوم بجامعة "باريس" في مؤلفِّهِ: '' دِراسات في التاريخ و فلسفة العلوم'' (1975). [↑](#footnote-ref-4)
5. **2** – في كتابه '' المثال العلمي للرياضيين في القِدم و العصور الحديثة L’edeal scientifique des Mathematiciens dans l’antiquite et les temps modernes- (1955). [↑](#footnote-ref-5)